وطنى فى عرس الحرية

للاستاذ عبد المنعم خلاف

عرش الشمس ، عليه صباح مشرق ، كله أضواء وأنداء وأغاريد وطوالع سعد ، واستهلال مجد

يَرِفُّ فوقه علم هو رمز النمو والخصب والعلا وإقبال الأيام ، رفيفَ القلوب حوله والأجفان فيه

وعلى العرش ملك يومئ الزمن باسمه إلى تاريخ وقف ، وتاريخ أقبل . . . . وبشبابه إلى ربيع مخضر يلف بنت النيل بطيلسانه وريعانه فتنبت الورد والشوك ، والغصن والرُمح ، للجمال والقوة . فهو ملك وكلمة من كلمات الغيب ألهمها « فؤاد » فوضعها فيما وضع من أعلام المجد

وأمة صهرت الفتن جوهرها نصف قرن ، فخرج صافياً غير مدخول ولا زائف ، قد « تكتل » وتجمعت ذراته ، وتضاءلت خلاياه ، ونشطت عضلاته ، ونهض فى مركزه بين مشرق الشمس ومغربها صلب العاتق كالأهرام ، رشيقا كالنيل ، رهيبا كالصحراء ، ينتظر أن يحمله الزمن رسالته الحديثة

وشعب يبدو كخلية النحل ، يعمل فى رأى مجتمع ، ونشوة بعذوبة الوحدة بعد مرارة الفرقة ، وحيرة الادلاج والسرى خمسين سنة فى مجهل السياسة ، وقد ترك على الطريق جثثا صرعى ونفوساً هلكى ، فلما عسعس الليل وملَّ الحادى وحار الدليل ، أسعفه القدر بانفلاق الاصباح وإقبال النور والهدى إلى الغاية

وتاريخ يمسك قلمه القديم الذى كتب به أولى صحائف الحضارة والعلم ليكتب صحيفة جديدة نرجو ألا ينقضى مداها ولا يأفل سناها

وأرواح حائمة من الأبوة الأمجاد تصلى فى ملكوت السموات أن يحمى رحمن العالم أرض الذرية ووصلة الشرق بالغرب .

وشيوخ محنكون يضعون الأساس ويخلقون الجو الجديد للروح والجسم ، بالقلم والسيف ، للمجد والحق .

وشباب ملتهب الفؤاد مسعر الروح ، يريد أن يقيم البناء بنجوم السماء . . لا يدرى ماذا يقدم من مطالب الوطنية ورغائب الحياة الجديدة ، فما يولد يوم إلا ومعه إلهام منه يتنزل على العقول بمعنى من معانى توكيد الاستقلال والتأهيل لاستكماله ، لأنه يشعر بالعظيمة التى ألقيت على كاهله فى عصر الانتقال وتغير مجرى التاريخ ، وإليه مآل الحوادث وقرار النتائج

ذلكم هو وطنى من بُعد . . أبى وأبوكم الرحيم أيها المصريون ! تشيع منه فى عينى صورة حاضرة على غيابه ، مجلوة على احتجابه ، طائفة فى المُصبَح والمُمسى ، والخلوة والجلوة

وقد شاء الله أن تعود الحرية النائية إلى ربوعه وأنا عنه بعيد ، فلم أشهد مواكبها وعُرسها على الجباه والشفاه ، ونشوتها فى الأرواح والأشباح ، وأملأ فراغى من فرح الحياة بها كما ملأته من الأسى عليها وهى حمراء دامية . . وأضحك للبلسم كما بكيت للدم !

ولى ولع برؤية الجماهير ورصدها ، وللجماعة فى أعصابى سحر . . . عجيب يجدد إيمانى بقوة الذرة إلى الذرة . إلى الصحراء ، وبالقطرة إلى القطرة . . . إلى الدأماء ، وبالانسان إلى الانسان . . إلى الدولة . فكانت منايَ أن أرى الشباب الذى طالما خر إلى الأرض شهيداً يخر للأذقان ساجداً تحت رجفة من هتاف الزعيم « اسجدوا . . اسجدوا لله شكرا » .

* * *

طلع الفجر يا بنى أبى ! وانفجر الضوء ، فاغسلوا قلوبكم بنوره ، ونقوا ضمائركم بطهوره ، وأشيعوا معانيه فى صدوركم ، وسلطوه على أوكار الظلام والضعف والجهل ، واقتلوا به الحشرات المخربة الدنيئة . . . ثم أجمعوا أمركم لسفر طويل فى طريق وعر مملوء بالأشراك والتعاسيف والمتاهات والزحام والسعالى والغيلان . . وجثث الأمم الوانية الخطى ، الخرقاء التدبير ، المتخاذلة القوى ، المفرقة الهوى . . . طريق المجد ! !

وقبل السير قفوا وتلفتوا إلى الخلف ، وسرحوا الأبصار فى معالمه ، وتذكروا أغلاط الماضى واستوحوا هداه وعبره ، فان ذلك أحرى أن يطرد معه السير على الجادة دون انحراف إلى بنيات الطريق

بغداد

عبد المنعم خلاف